القوة المادية ومسؤولية المسلمين في هذا القرن في الجهاد بها

الأستاذ صالح عسكر
كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإسلامية. جامعة باتنة

إذا أطلق لفظ القوة انصرف في الأذهان إلى ما يمكن أن تهيئه أمة من عدد وعُدد، ومن وسائل الغلبة وآلات الحرب من طائرات ودبابات ومدافع وقنابل وغيرها، حتى كان من يمتلكها هو القادر على فرض رأيه على غيره لا يستطيع له ردا.

هذه القوة المادية متى كانت إلى جنب الحق والعدل كانت خيرا على الناس، ولذلك كان تحصيلها مطلوبا من المطلوبات الشرعية والفطرية.

وأيا يكن، فمن الواضح أن المسلمين اليوم قد ضيعوا هذا الواجب وسُبقوا في هذا الميدان، لأسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها وأغلبها معلوم، فهل معنى ذلك أن الإسلام في هذا القرن يوشك أن ينكسر وينحسر، فلا تقوم له بعدها قائمة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تنطلق من تحديد موقع القوة المادية من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم..

فمن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مبشرا بعقيدة التوحيد ومنفذا لشريعتها، فكان الإمام في المحراب وفي ساحة القتال، والمفتي والقاضي...

والشريعة التي جاء بها نفسها نظمت في عقد واحد أحكام الصلاة والصيام والحج ... وأحكام الزكاة والبيع والإجارة والشفعة والرهن ... وأحكام الزواج والطلاق والخلع والإيلاء والظهار ... وأحكام الجهاد والسير وقسمة الفيء والغنائم ... وأحكام أهل الذمة والمعاهدين والمحاربين ... وأحكام وآداب المطعم والمشرب والملبس ... إلى جانب الحدود والتعازير وغيرها، وهذه الأحكام تبدأ من علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبأهله ثم قرابته وجيرانه وأهل ملته وأهل الملل الأخرى إلى أن تصل إلى علاقة المسلمين كافة بغيرهم من الأمم الأخرى ملحدة أو وثنية أو كتابية.

وهذه الأحكام يختلف موقع القوة والإلزام منها؛ فبينما يتجلى كصبغة أساسية في بعضها كالحدود مثلا، فهو ينتفي في الباقي..

فإذا أمعنا في موقع القوة من هذه الأحكام، وجدنا أن الجزء الذي تنتفي فيه هذه القوة هو مبنى الإسلام؛ ابتداء بالعقيدة والعبادات. قال تعالى:{ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم }([1]).

بل إن العادات والمعاملات أيضا من جنس ذلك؛ إذ الأصل أن الالتزام فيها مبني على الطواعية على اختيار.

أما الجزء الذي تعتبر القوة المادية صفة أساسية فيه -ويتمثل بصورة أساسية في الحدود والتعازير والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- فمقصده سياسي تنظيمي. إذ هدفه ضبط أمور المجتمع ونفي الخلل المتسارع إليه من مخالفة تلك الشرائع.

ويؤكد ذلك أن هذا الجزء أن هذا الجزء لم يشرع إلا بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، حيث جمع صفة إمام الأمة إلى جانب صفة إمام الصلاة، أي صار الحاكم بعد أن كان الداعية فقط.

بل إن القرآن نفسه يصرح بغاية هذه الأحكام، قال تعالى:{ ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا }([2]).

فإذا تقرر هذا، تبين أن القوة المادية في الإسلام ليست إلا قوة حامية حارسة. وأما القوة الفاعلة فيه فهي أمر آخر لا بد أن يكون قد صاحبه منذ فجر ولادته، بل منذ أول لحظة فيه.. فما هي هذه القوة؟

القوة الفاعلة في الإسلام:

إن القوة التي انتصر بها الإسلام حقا تتمثل في أنه يقدر على أن يحول عدوه إلى جانبه، فإن لم يحوله هو حول زوجه وأبناءه وتركه وحيدا أعزل. وما لأصل هذا الدين أمة إلا تلقفه أهلها وانطلقوا به في الآفاق مجاهدين في سبيله، ذلك أنه يحمل نور الحق ويرمي بقذائفه فإذا الباطل أمامها ذليل زاهق:

{ قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب * قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد }([3]).

{ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}([4]).

{ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا}([5]).

ولا نطيل الحديث، فهذا القرآن نفسه يصرح بقوته، ويبشّر بغلبته وانتصاره، قال تعالى: { يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}([6]).

فنور الله الذي جاء به هذا الوحي هو القوة التي لا تستطيع أن تقف في طريقها قوة أبدا مهما كانت، حتى يتم، وحتى يظهر الإسلام على كل دين فوق هذه الأرض رغما عن أنوف أعدائه، وما ظهوره إلا باستجابة الناس له وسعادتهم به سعادة المبصر بالنور بعد انجلاء الظلام.

ولقد أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا السلاح أيضا إذ قال: " ما من نبي إلا أوتي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "([7]).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم ينص في هذا الحديث على أن معجزته التي وظيفتها قطع حجج المرتابين وإثبات الصدق له -خلافا للأنبياء قبله- معجزة ممتدة من حيث الزمان من جهة، ومعجزة عقلية مبنية على التدبر لا على الحس. وأنه يرجو أن تقنع هذه المعجزة خلقا كثيرا حتى يكون -عليه الصلاة والسلام- أكثر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- أتباعا يوم القيامة.

وما زال أتباع محمد صلى الله عليه وسلم يتزايدون يوما بعد يوم والإسلام في امتداد ولا عجب، لكن العجب أنهم ما زالوا يتزايدون بعد أن صار المسلمون أمة ضعيفة لا تحمل من الإسلام إلا شعارا باهتا خافتا. وما ذلك إلا لأن هذا القرآن نور إذا عانق الأبصار طارت به شغفا وكرهت أن تعود إلى ما كانت عليه إلا كما تحب أن تلقى في النار.

لقد سمى الله سبحانه وتعالى قرآنه روحا ونورا، والروح بها حياة الجسد، والنور به تبصر الأعين، ولا قيام لهما من غيرهما: { وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور }([8]).

{ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...}([9]).

{ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا}([10]).

هذه هي القوة النورية للقرآن الكريم. وهي سلاح الإسلام البتار، الذي ما زال يهابه أئمة الضلال ورؤوس الكفار، وقد أمر الحق عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد به الكافرين جهادا كبيرا. فقال تعالى: { فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا}([11]).

فما دور هذه القوة في واقع المسلمين اليوم؟

دور القوة النورية في واقع المسلمين اليوم:

لا يختلف اثنان أن المسلمين اليوم قد أضاعوا واجبات كثيرة، وأن عقدهم قد انفرط .. وقد انبعثت طائفة منهم تريد رأب الصدع وإصلاح العطب، لكنها تجد نفسها معزولة فارغة اليدين، في حين يمتلك عدوها ناصية العلم والمال ووسائل القوة والدعاية وغير ذلك بصورة لا مجال فيها للمقارنة، فما الذي يمكن أن يفعله المخلصون من هذه الأمة لإعادتها إلى مدارها الذي انحرفت عنه؟

على المسلمين أن يعلموا أنهم حين لا يملكون القوة الحامية، فإن سلاحهم الأول ما زال موجودا في أيديهم، وهو قوة الإقناع بالقرآن وتثبيت أركان هذا الدين في القلوب والأفعال، وأن ذلك مع مرور الزمن هو الذي يجلب القوة المادية حتى صحبه الثبات وبعد النظر، بل إن القوة المادية لا وظيفة لها حين تكون حامية للفراغ، وإنك لن تستطيع أن تقيم الحد على ألف زان، وإنما تقيمه على الواحد المصر المجاهر بعد أن يثوب الباقون، وربما ذاك هو طالبا للتطهير، راجيا لانمحاء ذنبه كما فعل ماعز.([12])

إن كان المسلمون لا يملكون العدد والعدد فإنهم يملكون " كتابا لا يغسله الماء"([13]). {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}([14]). وإن عليهم مسؤولية كبرى في تبليغه إلى الأحمر والأبيض وأن يجاهدوا به جهادا كبيرا.

ولئن كان عدوهم يملك وسائل الدعاية والبلاغ، فإنه لا يملك ما يدعو إليه أو يبلغ إلا الدعوة إلى الشهوات الدنيئة والرخيصة، وإن كانت الشهوات أسرع إلى النفوس من النار في الهشيم فإنها لا تروي ظمأ ولا تشفي غليلا، وما يعقبها من ألم

أشد من ألم السياط اللواذع، وإن حلاوة الإيمان في النفوس أشد من خالص الشهد، وليهو ارسخ فيها من الجبال الرواسي.

بيد أن عدونا قد هيأ من حيث لا يشعر من الوسائل ما قد يختصر علينا كثيرا من العناء في طريق البلاغ، وعلينا نحن أن نكون أهل فطنة وذكاء فنحسن استغلالها .

إن العولمة التي نشهدها اليوم قد حملت فيما حملت من سيئات أو حسنات أمرين مهمين:

أولهما: هامش يتسع أو يضيق نسبيا من الحرية في التفكير وإبداء الرأي وإلقاء الفكرة والحجة.

والثاني: تطور في وسائل الاتصال سهل انتقال الأفكار والآراء والمعلومات والمعتقدات إلى كل مكان في الأرض، من غير أن تقف في طريقه حدود أو تعجزه المسافات.

وهذان الأمران مهمان جدا للمسلمين، فلقد كانت أجساد الصحابة رضوان الله عليهم تكوى بالنار أو تقطع بالسياط لمجرد اعتقادهم وحدانية الله، فضلا عن أن يدعوا غيرهم إليها، ومع ذلك غلبت الحجة السوط والسيف، فهل لنا نحن أن نضجر بفتيات ابن خطل ونحن نملك أن نتلو قرآننا؟[15] .

إننا لن نلوم عدونا إذا استخدم ما يملك من وسائل لنصرة باطله، لكننا نحن أيضا يمكن أن نستخدمها في نشر دعوة الحق والخير، وقديما قال نبي الله شعيب عليه السلام لقومه: { ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب }[16].

ولقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقولها أيضا لقومه: { قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم }[17].

وأما سهولة الاتصال وانتقال المعلومات والأخبار والأفكار، فإن هذا من أعظم ما يخدم الإسلام لو أحسن المسلمون استغلال ذلك، ولقد بشر رسول الله صلى الله عليه بدخول هذا الدين كل بيت -من وبر أو من مدر-، فعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل به الكفر "[18].

ولسنا نعلم شيئا دخل بيوت الوبر والمدر إلا هذه الأجهزة والوسائل، فلعلنا إن أحسنا استغلالها أن ندخل هذا الدين لكل بيت وبر أو مدر -والله أعلم-.

إن القوة المادية ووسائل الإعلام والدعاية وسيلة في يد من يملكها ومن يحسن استغلالها، وإنها لا تخدم صاحبها إلا بقدر ما تظل في يده يوظفها في تحقيق مآربه طيبة كانت أم خبيثة. وعليه فإن القوة التي ترهب المسلمين اليوم لعلها أن تصير يوما فينا في أيديهم

يرهب عدوهم، ولقد أعد يهود بني النضير خيلا وركابا تلقي الرجف والخوف في قلوب من يعادون ومنهم المسلمون، فلما سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاتلهم فيمن معه، ألقى الله الرعب في قلوبهم حتى جعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم حتى لا يدخلها عليهم المسلمون، ونالتهم هزيمة نكراء، فصارت خيلهم وركابهم فيئا غنمه المسلمون.([19])

قال تعالى: { وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير }([20]).

إن هذه الأحداث من أيام الله التي يقف فيها كل ما في الكون مسبحا منزها لله رب العالمين مستشرفا لروائع قدرته وحكمته: { سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار }([21]).

ولكن النص وراء ذلك توجيه آخر؟ ألا يدفع ذلك المسلمين -على مستوى الأسباب- إلى التفكير في الالتفاف على قوة العدو المادية بدلا من مواجهتها.

إن المسلمين إذ ينطلقون مجاهدين بالقرآن ناشرين لنوره، لا يؤدون واجبا شرعيا في تبليغ الهدى إلى الناس والشهادة عليهم فقط، ولكنهم أيضا يبنون جيش الحق وقوته، ونصرة العقيدة وحمايتها.

هذا عن الفكرة النظرية المجردة، لكن كيف يتم توظيف هذه القوة النورية للقرآن؟

كيفية المجاهدة بالقرآن:

قد ذكرنا آنفا أن قوة الإسلام والقرآن تتمثل في قدرته على تحويل عدوه إلى جنبه، ذلك أن السلاح الأول لهذا الدين هو استجابته لحاجة فطرية مغروسة في

نفس الإنسان، وانسجامه مع العقل والفطرة، وتحقيقه للسكينة النفسية، إلى جانب حجة قارعة وبرهان ساطع، وهو فوق ذلك يقدر على إصلاح التصور وتهذيب العمل.

إن هذه الخصائص وغيرها تجعل تبليغ القرآن إلى الناس كاملا وساطعا عين الجهاد، ذلك أن الله -سبحانه وتعالى- قد أودع في آياته القدرة على إقناع جميع الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم.

ولئن كان من المقرر أن معجزة القرآن كانت معجزة بيانية يدركها أهل الفصاحة من العرب فإن قصر هذه المعجزة على البيان فقط ظلم لصبغة العموم للمكان والاستمرار في الزمان اللذين اختصت بهما هذه الرسالة.

على المسلمين أن يدركوا أن هذا الجهاد بالقرآن عمل يومي مستمر، وإن عامل الزمن مهم، فإن الاستعجال قد يقلب حال الواحد منهم إلى مثل حال من نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، ولقد نص القرآن الكريم على أن الأحداث الكبرى في عمر الأمم تقاس بآلاف السنين، قال تعالى: { ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون }[22].

ولقد أنزل الله كتابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما فيما يناهز ثلاثا وعشرين سنة ليقرأه على الناس على مكث، فتتهذب به أعمالهم وتزكى به نفوسهم، ويتربون على أخلاقه وشرائعه في سهولة ويسر: { وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا }[23]. فأولى لنا أن نفقه الحكمة في ذلك.

والواقع أن علينا أن ننظر في عديد من المباحث الشرعية لنستخلص العبرة منها، فإن اختصاص القرآن المكي في عمومه بالعقيدة، والقرآن المدني بالأحكام مثلا، يرشدنا إلى أن نبدأ أولا بتعليم العقيدة -أعني العقيدة الإسلامية في بساطتها كما عرضها المعين الصافي للإسلام: القرآن والسنة، لا مجموعة المباحث الميتافيزيقية الفلسفية التي تجعل صدر العبد ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء-، ثم بعد ذلك الأحكام، والتي يتلقاها إثر ذلك القلب النقي المتعلق بالله بشغف وإقبال .. وعلم أسباب النزول مثلا يرشدنا إلى أن تنزل أحكام القرآن وآياته على الوقائع التي تحدث في حياة الناس يوميا ، فيتعلمونها تعلما عمليا تطبيقيا ترسخ فيه القاعدة مع المسألة ، والنظرية مع الفعل.

إن حسن التغني بالقرآن الكريم وتطويل شرحه والتفريع على المسائل التي عرض لها -وإن كان كله من العبادة-، فإنه لا يغني عن إدراك معانيه والتزام

أوامره والانتهاء إلى نواهيه، وقد قال المفسرون([24]) بأن أي إخلال بأحد الشروط الثلاثة: التلاوة والتدبر والعمل، يجعل المخل معدودا ضمن من اتخذ القرآن مهجورا، المشار إليهم في قوله تعالى: { وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا }([25]).

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه لم يحملوا إلى الناس كتب إعراب التنزيل، ولا أشرطة التجويد والترتيل، ولكن حملوا القرآن فعلا يرى ووحيا يتلى.

على المسلمين أن يعلموا أن نور الله الذي ائتمنهم عليه قد جاء لجميع الناس، وأن أنفسا كثيرة تتوق إلى هذا النور ولعلها لا تشعر، في عصر - باتت التعاسة فيه بضاعة رائجة، بين شعوب الأمم التي تعد متحضرة قبل غيرها، وبين أهل الغنى والنفوذ والقوة قبل غيرهم، ولقد جعل الله هذه الأمة أمة وسطا لتكون شاهدة على الناس بالبلاغ يوم القيامة، وتلك أمانة نسأل عنها يومئذ، وإن القعود عن ذلك من جلي التقصير.

هذا وإن لهذا القرآن خصائص تفرض توظيف بعض الوسائل الموافقة لطبيعته.

أهم الوسائل العملية الموافقة لطبيعة العصر:

لعل من أهم الوسائل العملية التي يحتاج المسلمون إليها اليوم في تبليغ نور القرآن والجهاد به، التمكن من لسان المخاطب؛ فبذلك يتحقق البلاغ وتبين الحجة، وقد قرر القرآن أن الله -عز وجل- ما ابتعث نبيا إلى قوم إلا بلسانهم، قال تعالى: { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم }([26]).

وإن من أكبر العوائق التي تقف في طريق البلاغ اليوم، عدم إتقان كثير من المشتغلين بالدراسات الإسلامية والمختصين فيها للغات أخرى، بينما بضاعة كثير ممن يتقن اللغات من المعارف الإسلامية بضاعة مزجاة. ولعل تفكير المعاهد والكليات الشرعية في تطوير البرامج اللغوية وتقويتها حل لهذه المعضلة، إلى جانب تنشيط الترجمة مع انتقاء الدراسات الجيدة وإعطاء الأولوية لها في المرحلة الأولى.

هذا بالنسبة للقالب الذي يتم فيه البلاغ، ومن جهة أخرى فإن توظيف الأسلوب القرآني السهل في المحاورة، واجتناب الأسلوب الفلسفي المعقد -الذي

يفسد أكثر مما يصلح- أصبح ضرورة ملحة، وذلك أن نقارن بين سورة الرحمن والمجلدات الضخمة التي كتبت في علم الكلام حتى ندرك الفارق، ولنستحضر دوما أن مهمتنا هي أن نبلغ دعوة وننشر رسالة ونقيم حججا وندحض أباطيل، لا أن نكشف عن سعة علمنا وعمق فهمنا وقدراتنا الخارقة وفطنتنا الفائقة.

هذا واستغلال جميع الوسائل المتاحة، خاصة تلك التي أنتجها هذا العصر وسخرها في الخير والشر أمر بالغ الأهمية، بل لا مفر منه ولا مناص، ولقد اختص هذا الدين بأن في شرائعه ما يتيح الاتصال الدائم والمتكرر بالجماهير -في الجماعات والجمعات والأعياد وغيرها-، وذلك ما يمكّن من تهذيب الأنفس وتزكيتها وتبليغ الحق إليها وترسيخه فيها في سهولة ويسر.

إن استغلال كل الوسائل الممكنة في البلاغ انطلاقا من المساجد والمدارس ووصولا إلى وسائل الاتصال الحديثة ذات الانتشار الواسع كالأنترنت والقنوات الفضائية، والسعي إلى شغل أكبر حيز فيها وربما السعي إلى إنشاء قنوات خالصة على منوال القنوات التبشيرية أضحى من الواجبات التي لا يقبل التقصير فيها أو الإخلال بها.

على أن كل ذلك لن يكون ذا معنى إلا إذا كان القائمون عليه متصفين بصفات خاصة تؤهلهم للقيام بهذه المسؤولية.

صفات المجاهدين بالقرآن:

لو أطلقنا العنان للتفكير والتخمين لافترضنا فيمن يدعو إلى القرآن ويبلغه إلى الناس صفات كثيرة، ولكن من الأولى أن نرجع إلى القرآن نفسه، لعل أن نجد فيه كشفا لبعض هذه الصفات ..

فحين ننظر في صفات من ائتمنه الله على تعليم كتابه نجد أولها أن يكون ربانيا([27])، كما قال تعالى: { ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون }([28]).

فالمفترض فيمن يعلّم كتاب الله أن يكون ربانيا متعلقا بربه ممثلا لهذا القرآن في عمله، فإذا كان كذلك فهو يبلغ القرآن بأفعاله قبل أقواله، يراه الناس قبل أن يسمعوه.

وهذه الربانية تجعل العبد قائما مقام القدوة للناس، فالمدرك بالحس المبصر قريب إلى الأنفس قريب إلى القبول.

هذا ومن الصفات التي مناص منها للمجاهد بالقرآن، أن يصون نفسه عن حرص يطمعه فيما في أيدي الناس، أو جبن يرهبه من بطشهم، فينحرف بسببهما عن الحق، لذلك امتدح الحق سبحانه وتعالى: { الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ... }[29].

وألقى سبحانه على ألسنة أنبيائه نوح وهود وصالح ولوط وشعيب –عليهم السلام: {وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين }[30].

وألقى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم أيضا: { قل ما أسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين}[31].

وأخذ العهد بذلك على الربانيين والأحبار: { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}[32].

فلما استحفظ الربانيون والأحبار على كتاب الله قيل لهم: لا تخشوا الناس، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، وهما مرضان إذا أصاب أحدهما أو كلاهما الحامل للكتاب انحرف عن الحق ووطأه لكل واطئ.

لعل هذا الطرح يحتاج إلى مراجعة وإعادة تقييم، فإن كل جهد بشري جهد قاصر، واللبنة الواحدة إذا عدل موقعها وأضيفت إليها واحدة ثم واحدة صارت بناء شامخا مستقيما، {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }[33]. وها أنا ذا أجمل نتائجه:

نتائج البحث:

القوة المستندة للحق بها صلاح حياة الناس.

الأحكام الشرعية منها ما لا ينبني على القوة وهو مبنى الإسلام، ومنها ما تعد القوة مركزية فيه ووظيفته الحماية وهو مكمل للأول.

القوة التي انتصر بها الإسلام هي قوة الإقناع والنور الذي تضمنته آيات القرآن الذي حكم الله بتمامه وغلبته على غيره، وهذه القوة هي التي تنتج عبر الزمن القوة المادية الحامية.

فقدان المسلمين للقوة المادية لا يعني خسرانهم لكل شيء، بل عليهم أن يفكروا في الالتفاف على هذه القوة باستعمال القوة الفاعلة في دينهم أي النور الذي تضمنته آيات الوحي.

إن وجود القوة المادية بأيدي من يعادي المسلمين لا يعني استمرارها بأيديهم إلى الأبد، وقد يهيء العدو لعدوه سلاحا يقع بيده غدا وهو لا يشعر.

المسلمون أحق الناس باستغلال وسائل الاتصالات الحديثة لأنهم يملكون ما يبلغون بينما يدعو غيرهم لشهوات زائفة.

إن تبليغ القرآن ناصعا وساطعا جهاد، يفترض أن يكون عملا يوميا متواصلا يصاحبه بعد نظر وثبات وتخطيط صائب.

على المسلمين الاستفادة من بعض الإشارات المرتبطة بالقرآن كالبدء بغرس العقيدة على منوال القرآن المكي، ثم الأحكام على منوال القرآن المدني.

الحرص على تبليغ المعاني المركزية للرسالة القرآنية وعدم شغل الناس بمسائل الترف الفكري في المرحلة الأولى.

إن الفتن والتعاسة التي تعصف بالناس اليوم تجعلهم وإن كانوا لا يشعرون في أمس الحاجة إلى الرسالة النورانية القرآنية. وتأخر وصولها إليهم أو انحجابها عنهم تقصير عظيم يسأل عنه المسلمون يوم القيامة.

على المسلمين أن يوظفوا كل وسائل العصر في تبليغ نور القرآن وأن يخاطبوا الناس بلسانهم ولغة عصرهم تيسيرا عليهم واختصارا للطريق.

إن أمانة الجهاد بالقرآن تحتاج إلى قوم ربانيين اجتث من قلوبهم الطمع فيما في أيدي الناس، والخوف من غير الله سبحانه وتعالى، وتمثلوا ما يدعون إليه في أفعالهم، فالناس يرونه قبل أن يسمعوه منهم.

الهوامش :

---

(1) البقرة: 256

(2) الحج: 40

(3) سبأ: 48-49

(4) الأنبياء: 18

(5) الإسراء: 81

(6) التوبة: 32-33

(7) البخاري، الصحيح (مع الفتح) كتاب الاعتصام، 13/247، دار المعرفة، بيروت، د ت ط.

(8) الشورى: 52-53

(9) الأنعام: 122

(10) النساء: 174

(11) الفرقان: 52

(12) انظر خبر ماعز في صحيح البخاري، كتاب الحدود 121/12.

(13) حديث: «إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ...» أخرجه مسلم في صحيحه.

(14) فصلت: 42

(15) خبر قينات ابن خطل ذكر في سبب نزول قوله تعالى: [ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ...] سورة لقمان. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 178/7، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1413-1993.

(16) هود: 93

(17) الزمر: 39-40

(18) أحمد، المسند 103/4، دار صادر، بيروت، د.ت.ط.

(19) انظر تفسير ابن كثير 592/6-602، دار الأندلس، ط2: 1400-1980.

(20) الحشر: 6

(21) الحشر: 1-2.

(22) الحج: 47

(23) الإسراء: 106

(24) انظر تفسير ابن كثير.

(25) الفرقان: 30

(26) إبراهيم: 4

(27) "الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته". انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 185/1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1415-1995.

(28) آل عمران: 79

(29) الأحزاب: 39

(30) الشعراء: 109، 127، 145، 164، 180

(31) سورة ص: 86

(32) المائدة: 44.

(33) الإسراء:

(12) انظر خبر ماعز في صحيح البخاري، كتاب الحدود 121/12.

(13) حديث " إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ... " أخرجه مسلم في صحيحه.

(14) فصلت: 42

(15) خبر قينات ابن خطل ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ... ﴾ سورة لقمان. انظر: أبو حيان، البحر المحيط 178/7، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1413-1993.

(16) هود: 93

(17) الزمر: 39-40

(18) أحمد، المسند 103/4، دار صادر، بيروت، د.ت.ط.

(19) انظر تفسير ابن كثير 592/6-602، دار الأندلس، ط2: 1400-1980.

(20) الحشر: 6

(21) الحشر: 1-2.

(22) الحج: 47

(23) الإسراء: 106

(24) انظر تفسير ابن كثير.

(25) الفرقان: 30

(26) إبراهيم: 4

(27) " الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته ". انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 185/1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1415-1995.

(28) آل عمران: 79

(29) الأحزاب: 39

(30) الشعراء: 109، 127، 145، 164، 180

(31) سورة ص: 86

(32) المائدة: 44.

(33) الإسراء: